إنجيل متى ٢٠: ١-١٦

« أُعْطِيَ » بالنعمة

تأليف: تومي ساوث

« فإن ملكوت الله يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه، فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرمة فأعطيكم ما يحق لكم! فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟ قالوا له: لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم! فلما كان المساء، قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفعلة واعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين. فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً. فلما جاء الأولون، ظنوا انهم يأخذون أكثر. فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً. وفيما هم يأخذون، تذمروا على رب البيت ... » (متى ٢٠: ١-١٦).

كلنا نحب القصص الجميلة، ومن أحد الأسباب التي تجعل أمثال يسوع رائعة جداً هي لأنها قصص جميلة. الأمثلة التي نحبها أكثر هي التي تنتهي بطريقة مرضية؛ تنتهي كما ينبغي لها. على سبيل المثال، في قصة الابن الضال، عاد الابن الضال أخيراً واستقبله أباه، نهاية مفرحة على الأقل. وينتهي مثل الخروف الضائع بالراعي المثابر ينقذ الخروف الضائع. هذه نهايات رائعة بالنسبة لنا، ونحن نحب القصص ذات النهايات الجميلة.

من إحدى الأسباب التي لا تجعل « مثل العمال في الكرم » في متى ٢٠: ١-١٦ من الأمثلة المفضلة إلينا هو انه لم ينتهي بطريقة صحيحة، على الأقل ليس حسب اعتقادنا. استأجر صاحب الكرم عدة عمال في أوقات مختلفة خلال اليوم، ولكن لما حلت نهاية اليوم، دفع للذين عملوا لمدة ساعة واحدة فقط أجرة مساوية لأجرة الذين عملوا طول اليوم. يبدو لنا ذلك بانه غير عادل! نتعاطف على العمال الذين عملوا طول اليوم، وقد نظن بانه يجب الابلاغ عن صاحب الكرم لسلطات الدولة المختصة بسبب تعامله غير العادل مع العمال.

عندما ندرك المغزى لهذا المثل، نرى ان نهايته عادلة. فان هذا المثل هو عن نعمة الله، مع ان الكلمة « نعمة » لا توجد في أي مكان فيه. ذلك هو السبب بالضبط ان نهايته لا تتفق بما نظنه عدلاً: النعمة و« العدل » ليس بينهما الكثير من التشابه. النعمة هي ان نحصل على أكثر مما نستحق، وليس ما نستحقه. من منا يكون جريء بما فيه الكفاية ليطلب من الله ان يعطيه ما يستحقه؟ لا، نريد ان يعطينا الله ما نحتاج إليه، أي: رحمته والمغفرة.

قد نسأل: لماذا الذين أُستأجروا أخيراً هم الذين حصلوا على « نعمة »؟ هل يعطي الله رحمته لقليلين فقط؟ بصراحة، حصل العمال جميعهم على الرحمة من صاحب الكرم الكريم. كان استأجار عمال المزرعة يتم باليومية. ان لم يستأجر شخص ما الذين ينتظرون في هذا اليوم، فلا يحصلون على اجرة. وإن لم ت*-كن هناك اجرة اليوم، لا يكون هناك طعام لليوم. كان صاحب الكرم يرحم كل العمال لأنه استأجرهم. نظراً لهذا، كان المثل دقيق ويصف نعمة الله. إذا لم يعطنا الآب الخلاص مجاناً، نبقى بلا رجاء. كل من خلص تم خلاصه بنعمته

العجيبة.

يسلط إنجيل متى ٢٠: ١١-١٥ ضوءاً على مشكلة معروفة لدينا عندما نفكر في نعمة الله. نتذمر أحياناً على الطريقة التي يعطي بها الله نعمته، كما ان العمال الذين أستئجروا أولاً تذمروا بان الذين جاءوا في وقت متأخر أخذوا من الإجرة ما تساوي أجرتهم. انه لم يعاملهم بسوء، ومع ذلك «حسدوه على كرمه»، عوضاً عن الفرح لزملاءهم العمال الذين حصلوا على أكثر مما يستحقون. (كانت هناك درجات مختلفة من العمل، ولكن حصل الجميع على اجرة مساوية). هكذا أيضاً كلنا نريد نعمة الله لأنفسنا (من الصعب ان لا نؤمن باننا نستحقها)، ولكننا نحسد عليها الآخرين بصورة متكررة.

هذه الميولة تدل على اخفاقنا لادراك طبيعة نعمة الله الحقيقية والمتاحة. عبر عنها توماس أكمبيس بطريقة جيدة: «نادراً ما نزن جيراننا في الميزان نفسه الذي نزن به أنفسنا!»

أعطي مثل العمال في الكرم لكي يساعدنا في التعامل بهذه المشكلة. ولأنه ينتهي كما انتهى، فهو يعلمنا كيف لا تُمنح نعمة الله.

لا تُمْنَح النعمة على أساس «خلفية» الشخص

بما ان نص الدرس لم يوضح هذا، إلا انني مقتنع بانه تم توجيه هذا المثل لقادة اليهود الذين كانوا يعارضون يسوع بشدة. بعد ما أنهى يسوع هذا المثل مباشرة، يذكرنا متى ٢٠: ١٧-١٩ بان يسوع كان في طريقه إلى أورشليم ليموت على أيدي «رؤساء الكهنة والكتبة». منذ ذلك الوقت فصاعداً، يقول متى بالتحديد ان معظم أمثال يسوع كانت موجهة ضد اليهود. بعد مثل الكرّامين القتلة (متى ٢١: ٣٣-٤٤)، يقول متى: «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم» (متى ٢١: ٤٥). وأيضاً تقول خاتمة المثل («هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين») تدل على انه إشارة لليهود، إذ كانوا هم الأولون في ملكوت الله، ولكن لأنهم رفضوا مسياهم، فيأخذ مكانهم آخرون الذين يحتقرونهم: المنبوذين، والخطاة، والأمم، والذين ليست لهم «خلفية» دينية.

ولكن المثل يقول باننا لا نحتاج إلى خلفية لكي ننال نعمة الله. وإنما يعطيها مجاناً لكل الذين يقبلون ابنه. عبر بطرس عن هذا في أعمال ١٠: ٣٤ و٣٥ حيث قال: «بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده». ولكن يبين المثل أيضاً انه حتى ولو كانت لديك «خلفية دينية»، لا فائدة منها عندما يتعلق الأمر بخلاصك. ينبغي على كل منا أن يقرر في نفسه بان يتبع يسوع. لا يمكن لوالدينا وأجدادنا المسيحيين أن يصنعوا لنا هذا القرار أو ينقلوا إيمانهم إلينا من غير ان تكون لدينا الرغبة في ان نطيع. كانت لبولس خلفية مشهورة، ولكنه قال بانه قد تخلى عنها لكي يتبع المسيح، لأن في يسوع وحده كان رجاءه: «بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرتُ كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» (فيلبي ٣: ٨).

لا تُمْنَح على أساس كفاءة الشخص

الميزة الأكثر بروزة في المثل هي ان العمال الذين أُستأجروا أخيراً لم تدفع لهم الأجرة حسب عملهم، لا الكمية ولا الجودة. بل كما يوضح متى ٢٠: ١٥، دفع لهم الأجرة على أساس كرم صاحب المزرعة.

هكذا أيضاً بما يختص بخلاصنا. فكرة بولس الرئيسية في رسائله هي اننا مخلصين بنعمة الله وليس بأعمالنا. لا نستطيع أن نفعل ما تكفي من «الأعمال الحسنة» لنضع الله في موقف يكون «مديون لنا» بالخلاص:

> الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع. ليظهر في

الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس بأعمال كيلا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٤-٩).

لأن المسيح، إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رومية ٥: ٦-٨).

لهذا السبب أنت تحتاج إلى المسيح. بغض النظر عن اخلاقك الطيبة ومدى جودة أعمالك الصالحة، لا تزال خاطئاً وبحاجة إلى نعمة. وإلا لما كان على المسيح أن يموت على الاطلاق (غلاطية ٢: ٢٠).

لا تُمْنَح على أساس مثابرة الشخص

في هذا المثل، ظن العمال الذين أُستأجروا في وقت مبكر من اليوم بانهم يستحقون أجرة أكثر لأنهم كانوا قد عملوا لوقت أطول، إذ قالوا: «هؤلاءالآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر» (متى ٢٠: ١٢). ولكن تم التعامل مع هؤلاء بتساوي مع الذين أُستأجروا أخيراً لأنهم كانوا بالحقيقة مساويين. تم إستئجار الجميع بكرم صاحب المزرع.

لا ينبغي أبداً أن نحسد الآخرين بسبب النعمة التي منحهم الله إياها، مادام هم يحصلون عليها على الأساس نفسه كما نحصل عليها نحن. كثيراً ما يتسأل المسيحيون عما يسمى بـ«هدايات آخر لحظة»، أي الذين أهتدوا إلى المسيحية قبل موتهم بوقت وجيز. قد لا يبدو صحيحاً ان الذي خدم الرب لمدة ساعات قليلة فقط يحصل على المكافأة الأبدية نفسها كما يحصل عليها الذي عمل لمدة طويلة وبجهد في «كرم» الله. يجب أن نترك ذلك القرار لله وحده. لقد وعد ان يقبل كل الذين يأتون إليه بالمسيح، وليس علينا أن نراقب ساعات خطاة مثلنا. إذا ما أتينا إلى الملكوت مبكراً أم متأخراً، ما أجمل الفضل الذي منحنا ان ندخل فيه!

الخلاصة

ننال نعمته بالطاعة الحقيقية – ان نأتي إلى الكرم، ولكننا لا نستحقه بسبب عمل قمنا به. علينا أن نحب هذا المثل أكثر مما نحبه عادة لأنه يعلمنا بطريقة لا تُنسى بانه لم يخلص أي منا بالخلفية، أو بالأعمال، أو بالزمن، بل بنعمة الله فقط المعطاة مجاناً. علينا أن نقدّر تلك الحقيقة بما فيه الكفاية لنمتنع عن الحَسد على نعمة الله الممنوحة لأي شخص آخر. إذا كان الله يخلصني بغض النظر عن خطاياي، فلماذا أجد مانعاً إذا خلص خاطيء آخر أيضاً مثلي الذي يكون بلا رجاء ولا أمل بدون نعمته العجيبة؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧